

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 6 (2009) : 130 - 153
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي ومنهجها في البحث التاريخي خلال القرون الهجرية الأولى (2و3و4 هـ/ 8و9و10م)

الطيب بوسعد
قسم التاريخ المركز الجامعي غرداية
غرداية ص ب 455 غرداية 47000 ,الجزائر

تمهيد

درج الكثير من المؤرخين على الاعتقاد بأن المغاربة قد تخصصوا في العلوم الدينية أكثر من العلوم العقلية اعتبروا حظهم من الدراسة والعناية في هذه الأخيرة ضحلا وضئيلا في حين أن المستقرئ للمصادر التاريخية الإسلامية القديمة سواء منها المحلية أو المشرقية والأندلسية يقف على الكثير من الحقائق الجلية تنفي من الأساس هذا الزعم.

ولعل من العلوم التي خصوها بالعناية والاهتمام علم التاريخ بجميع فروعه وتخصصاته، فنسجوا في دراستاهم التاريخية على نفس الأساليب والمناهج التي اعتمدها المشارقة. وقد لاحت بواكير هذا الاهتمام في القرون الهجرية الأولى بداية من ق 2 هـ/ 8م ومرورا بالقرن 3 هـ/9 م وانتهاء بالقرن 4 هـ/10 م حسب الإطار الزمني المحدد للدراسة.

ويلاحظ علو المؤرخين المغاربة إتباعهم لعدة مناهج في بحوثهم التاريخية التي صاغوها في شكل مدونات بعضها قد وصلنا وأغلبها فقد. فألفوا في حفظ الأنساب وأيام العرب وبدء الخليقة وتاريخ الأنبياء، كما اهتموا بدراسة السيرة النبوية والمغازي فضلا عن كتب الطبقات والتراجم والتواريخ المحلية والعامة.

وما يستلفت النظر عنايتهم البالغة بتدوين تواريخ الأحداث وذكر صناع الحدث سواء

سياسيين أو تجار أو علماء أو غيرهم، دون أن يغفلوا إقحام الأسانيد على رواياتهم توثيقا للأخبار التاريخية. ولكن مع هذه المزايا، إلا أننا نلمس في دراستهم التاريخية إفراطهم في نقد الرواة وعزوفهم عن نقد الرواية محاكاة منهم لأسلوب المحدثين ن مما جعل الكثير من الروايات و الأخبار مشوبة بالموضوعات والأساطير والمبالغات التي هي بحاجة إلى تمحيص وغربلة.

1- منهج أيام العرب والأنساب في مجال الدراسات التاريخية لدى المغاربة

أ- تعريف أيام العرب كمنهج تاريخي:

هي مجموعة من القصص تروي أخبار القبائل العربية في الجاهلية (1)، ويقصد بها الحروب الناشبة بين عامر وغطفان وبكر وشيبان والحارث وبني تغلب، كما تتصل أحداثها عموما بالصفات والخصائص التي كان يتحلى بها المجتمع العربي (2).

وقد ساعدتنا كتب السيرة والمغازي على تحديد محتوى أخبار الأيام العربية، إلى جانب ما تقدم، حيث تتناول أيضا بعض الأحداث البارزة قبل الإسلام كقصص سد مأرب وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل (3).

ولم تكن دراسة الأيام مقصورة على الفترة الجاهلية، بل استمرت إلى غاية الفترة الإسلامية، وحظيت باهتمام خاص من قبل خلفاء الدولة الأموية (4).

وتعد "الأيام" في نظر الباحثين، فرعا من التاريخ (5)، ومصدرا أساسيا لتاريخ العرب قبل الإسلام ونواة أولى لنشأة التاريخ في الحضارة العربية الإسلامية (6).

ب- تعريف الأنساب:

هي نوع من الدراسات التاريخية يعنى بحفظ الأنساب، وذلك عن طريق الاهتمام بتسلسل الآباء والأجداد وأصول الأفراد والأسر والجماعات (7).

وقد تضافرت مجموعة من العوامل ساعدت على العناية بالأنساب في المشرق ومنها اتسام الخلافة الأموية بالصبغة العربية وظهور النزعة الشعوبية في العصر العباسي (8)، بالإضافة إلى حاجة الدولة للأنساب في تقدير ودفع رواتب الجند، وكان إنشاء الدواوين دافعا إضافيا للاهتمام بها (9).

وأهم المؤرخين المشارقة، الذين اهتموا في عهدي الخلافة الأموية والعباسية، نذكر عبيد

بن شرية، وعلاقة بن كرشم الكلابي، ومحمد بن السائب الكلبي (ت 146هـ/763م) وهشام بن محمد الكلبي (ت 204هـ/819م) وعوانة بن الحكم (ت 147هـ/764م) والهيثم بن عدي (ت 206هـ/821م) وأبا عبيدة (ت 210هـ/825م) ومصعب الزبيري (ت 236هـ/ 850م) (10).

ج- انتقال تاريخ الأيام والأنساب إلى بلاد المغرب:

ساهمت عدة عوامل في انتقال دراسة الأيام والأنساب إلى بلاد المغرب وكان ذلك في وقت مبكر جدا، يعود إلى النصف الأول من ق 2هـ/8م، و التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- دخول الصحابة والتابعين إلى بلاد المغرب وهم يحملون بعض المعلومات التاريخية عن الأيام والأنساب.

- إلمام بعض الولاة بأيام العرب وأخبارها مثل عبد الله بن الحبحاب (11).

- دخول القرآن الكريم إلى بلاد المغرب وهو الذي ينطوي على أخبار العرب قبل الإسلام، كأخبار عاد وثمود وسد مأرب وغزو أبرهة الحبشي للكعبة وأخبار الأنبياء.

- انتقال الأحاديث النبوية الشريفة وإطلاع المغاربة على طريقة السند والعناية بالمتون أي نقد الرواية والدراية.

- هجرة بعض المشارقة إلى بلاد المغرب من المتخصصين في تاريخ الأيام والأنساب واستفادة المغاربة من معلوماتهم في هذا المجال ومن هؤلاء نذكر: المعمر بن سنان التيمي (ت 177هـ/793م)، الذي قدم مع الأمير يزيد بن حاتم المهلبي حينما تولى إمارة إفريقية سنة 155هـ/771م، وقد استوطن القيروان وعنه أخذ أهل إفريقية حرب غطفان (12) وغيرها من وقائع العرب، كيف لا وهو عالم بأيام العرب وأخبارها وأشعارها ؟! (13).

- عياض بن عوانة الكلبي (ت 158هـ/774م)، كان والده "عوانة" راوية للأخبار وعالما بالنسب، وقد خرج عياض من الكوفة واستقر بالقيروان وقد أشار أبو بكر الزبيدي إلى أن أهل إفريقية قد أخذوا عنه تاريخ العرب في الجاهلية وكذا حفظ أنسابهم (14).

- قتيبة الجعفي (ت بعد سنة 200هـ/815م)، كان عالما بالنسب وأيام الناس، قدم القيروان في عهد ولاية يزيد بن حاتم، وقد روى عنه أهل المغرب وقائع العرب (15).

– الحسن بن منصور المذحجي (ت أوائل ق 3هـ/9م)، قدم إفريقية مع مُحَّد بن الأشعث الخزاعي وعاش إلى أيام زيادة الله الأغلبي، ومكث بالقيروان وكان عالما بأيام العرب وأخبارها ووقائعها وأشعارها (16).

ولا شك أن هؤلاء المؤرخين قد أدخلوا معهم مختلف الكتب التي ألفت في الأيام والأنساب بالمشرق، ويكون المغاربة قد استفادوا منها.

هذا ويأتي عامل الرحلة إلى المشرق كرافد أساسي، استقى منه المغاربة جانبا من معارفهم التاريخية من خلال الاتصال بأعلام الأخبار ورواية الأيام والأنساب عنهم ثم المساهمة في نقلها إلى بلادهم، نلمس ذلك تلميحا وليس تصريحا في المصادر المحلية.

كما يعد عامل الهجرات العربية المتوالية على بلاد المغرب، مصدرا هاما في رواية الأيام والأنساب بحكم استقرارها الطويل في هذه الربوع ومنذ القرون الهجرية الأولى (17)، علما بأنها تمثل في نظر الباحثين مصدرا حيويا للتأريخ عن الأيام والأنساب (18).

د– إسهام المغاربة في دراسة أيام العرب وأنسابهم:

أدت العوامل الآنفة الذكر – متضافرة – إلى بروز نخبة من المؤرخين المغاربة تخصصوا في دراسة أخبار العرب في الجاهلية، فضلا عن أنسابهم، كوسيلة لاستكمال معلوماتهم الدينية واللغوية، أي ربما لم يصلوا إلى درجة الاحترافية التاريخية في هذا التخصص وأنهم كانوا أقرب إلى العلماء الموسوعين الذين ألموا بالثقافة من جميع أطرافها.

وتجدر الملاحظة أن المصادر قد أحصت لنا عددا لا يستهان به من هؤلاء المؤرخين، ولا ريب أن هذه الكثرة تؤشر على رواج هذا النمط من الدراسات التاريخية.

ومن خلال تراجمهم أيضا يتبدى لنا أن أعلام المغرب في الأيام والأنساب خلال فترة البحث قد امتازوا بالتعمق في بحوثهم التاريخية فقد وصفوا بالتمكن والهضم الجيد للمادة التاريخية وليس أدل على ذلك من تأليفهم للكتب وارتقاؤهم من طور التتلمذ على المشارقة إلى مرتبة التدريس كأساتذة أكفاء تصدروا للتفسير والشرح وأورثوا هذا العلم

لطلبتهم من أنحاء بلاد المغرب الكبير، بل إن شهرة بعضهم قد تعدت مجالهم الجغرافي ليمتد صداها إلى المشرق وفيما يلي نستعرض بعض نشاطهم التاريخي في هذا الصدد:

– عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت 226ه/849م): قال عنه القاضي عياض، بأنه كان عالما بأيام العرب وأنسابها وعنه أخذ الناس أخبار إفريقية وحروبها (19).

– عبد الملك بن قطن المهري (ت 253ه/867م): تتلمذ على يد عياض بن عوانة المؤرخ الكوفي – المتقدم الذكر – (20) ثم أصبح أستاذا في رواية أنساب العرب ووقائعها وأيامها في ظل الدولة الأغلبية (21).

– فرات بن مُحَّد العبدي (ت 292ه/904م): له معرفة بالأنساب وهو من المؤرخين الذين أكثر أبو العرب الأخذ عنهم في طبقاته (22).

– أحمد بن شريس القيرواني (ت297ه/909م)، الذي ذكر عنه القفطي أنه كان ملما بعلم الأخبار عن الأيام والأنساب (23)، ومن الطريف أن الخطيب البغدادي يذكر لابن شريس كتابا في التاريخ اطلع عليه (24).

– أبو مُحَّد المكفوف (ت 308ه/920م): اشتهر بتفسير أيام العرب وأخبارها ووقائعها، حيث عكف على تدريس هذا التخصص التاريخي للطلبة الوافدين عليه من جميع إفريقية والمغرب (25).

– أبو عبد الله مُحَّد بن زرزر (ت 291ه/903م): ذكر الدباغ عنه بأنه كان يحفظ أخبار العرب (26).

– أبو العرب (ت 333ه/944م): ألف في الأنساب كتاب "مناقب بني تميم"(27).

ومن هنا نستنتج أن أهل المشرق لهم قصب السبق في هذا اللون من الدراسات التاريخية، إلا أن أهل المغرب ما لبثوا أن استوعبوا الأيام والأنساب كتخصص تاريخي في وقت مبكر جدا لم يتعد حدود منتصف القرن 2ه/8م، وما أن حل القرن 3ه/9م حتى تبلورت المدرسة المغربية في منهج الأيام والأنساب بأساتذتها وكتبها وتأثيراتها الخارجية، فعبد الله بن أبي حسان اليحصبي قد أخذ هذا العلم عن أبيه وتتلمذ فرات العبدي على ابن أبي حسان وبدوره درس المكفوف عن المهري وسرعان ما تحول الطالب إلى أستاذ يغترف طلبة المغرب من معين دروسه القيمة.

2– منهج السيرة والمغازي عند المغاربة

أ- تعريف السيرة والمغازي:

تشمل السيرة النبوية دراسة تاريخ أعمال الرسول ﷺ وأقواله وتقريراته وبالتالي فهو مصطلح قريب من مفهوم "السنة" (28)، وأما مصطلح المغازي فهو يعني حروب النبي صلى الله عليه وسلم، أي غزواته وسراياه (29) التي خاضها ضد القبائل لعربية المشركة والمتحالفة واليهود والمتآمرين والروم البيزنطيين، ولم تكن حروبه مناوشات عسكرية وحسب، وإنما عادة ما تبدأ بالدعوة إلى الإسلام وغالبا ما يتخللها نشاط دبلوماسي غايته نشدان السلام مع الشعوب والأمم.

وتتمثل محاور السيرة والمغازي في المبتدأ (وهو تاريخ العرب في الجاهلية) والمبعث (وهو ظهور الوحي ورسالة النبي "ص") والمغازي (وهي غزوات النبي "ص" وسراياه) وقد تمتد حوادثها في بعض الكتب لتشمل حروب الردة ومعركتي القادسية واليرموك (30) وغيرها كواقعة الجمل وحادثة صفين وحروب المسلمين مع الروم والفرس (31).

وأشهر كتاب السيرة والمغازي في المشرق الإسلامي، عروة بن الزبير(ت 94ه/712م) مؤسس مدرسة المغازي فهو أول من ألف فيها كتابا (32) ويليه أبان بن عثمان (ت 105ه/733م)، ثم الزهري (ت 124ه/741م) الذي اشتهر بترتيب وتبويب موضوعات السيرة النبوية وتعدد الرواية (33)، هذا ويعتبر وهب بن منبه (ت 110ه/728م) الذي وضع كتابا في المغازي وهو أول من خرج بالسيرة عن نطاق الإسناد " أسلوب أهل المدينة " إلا أن ما يعاب عليه إيلاجه للإسرائيليات (34)، لينتهي علم السيرة والمغازي عند مؤرخين من الموالي هما مُحَّد بن إسحاق (ت 152ه/769م) صاحب كتاب "السير والمغازي" وابن هشام (ت 218ه/833م) الذي اختصر سيرته ونسب كتابه إليه (35)، إلا أن مُحَّد بن عمر الواقدي (ت 207ه/822م) قد نافسهما بكتابه "المغازي" الذي لم يقتصر على سرد غزوات الرسول $ بل تناول أحداث الردة ومقتل عثمان وصفين والجمل وفتوح الشام والعراق والمغرب (36).

ب- منهج الدراسات التاريخية في مجال السيرة والمغازي ودور المغاربة.

لا نملك في المصادر إشارات صريحة تحدد الفترة الزمنية لدخول هذا النمط من الدراسات التاريخية، ولكننا بالمقابل نملك عدة قرائن تثبت انتقال منهج السير والمغازي إلى بلاد المغرب مع أوائل ق 2ه/8م، فهذا الداعية الخارجي الصفري عكرمة المغربي (ت105ه/723م) "مولى الصحابي عبد الله بن عباس" قد كان ملما برواية تاريخ المغازي (37) بالتوازي مع

تخصصه في تفسير القرآن الكريم، علما أن هذا التابعي قد دخل إفريقية وأقام بالقيروان ودرس بمسجدها الجامع، إذ كانت له به حلقة خاصة وإن تحليق الطلبة حول مجلسه العلمي للاستماع إلى المغازي والتفسير لدليل على اطلاعهم المسبق على هذا العلم، ذلك أن تلقيهم للأحاديث النبوية الشريفة مع دخول الصحابة والتابعين (38) قد تلازم مع السير والمغازي التي كانت من أبواب علم الحديث.

ويرجح أيضا أن المغاربة قد استكملوا معلوماتهم التاريخية عن السيرة والمغازي طيلة فترة ق 2ھ/8م، بفضل رحلتهم العلمية المكثفة إلى المدينة المنورة التي كانت المهد الأول لدراسة السيرة والمغازي، فكما أخذوا عن أعلامها الفقه والحديث (39)، لم يدخروا وسعا في الأخذ عن إخبارييها السيرة والمغازي، نميل إلى هذا الاستنتاج رغم عزوف المصادر المشرقية والمغربية على السواء عن هكذا أخبار نظرا لتركيزها الشديد على ذكر الرحلات العلمية الدينية أكثر من غيرها.

وإذا كانت معلوماتنا نسبية بهذا الخصوص خلال ق 2ھ/8م، لاعتمادها على مجرد تخمينات، فإن المسألة قد أصبحت مؤكدة لا يشوبها ريب خلال ق 3ھ/9م، إذ تشهد المصادر بمعلوماتها حتى وإن كانت زهيدة على بروز الدور المغربي في تاريخ السيرة والمغازي واعتماد المغاربة على ثلاث مدارس رئيسية بهذا الشأن الحجازية والعراقية والمصرية.

وفي هذا الصدد ألف عبد الملك بن قطن المهري (ت 253ھ/867م) كتابا في تفسير مغازي الواقدي (40)، ومن المعروف أن الواقدي من أهل المدينة درج على اتباع أسلوب السند في رواياته التاريخية وإن انتقل بعد ذلك إلى العراق، ولعل هذا ما يفسر كثرة أخذ المغاربة عنه، حيث كان الفقيه والمؤرخ عيسى بن مسكين (ت 281ھ/894م) ممن أخذ عن مغازي الواقدي، حادثة اختطاط عقبة بن نافع للقيروان (41)، كما اعتمد عليه عيسى بن مُحَّد بن سليمان بن أبي المهاجر الأنصاري في ذكر غزوة عبد الله بن سعد لإفريقية(42) (ت 3ھ/9م).

بينما اعتمد إسحاق بن أبي عبد الملك الملشوني (43) (ت 242ھ/856م) المؤرخ الجزائري البسكري على مغازي وهب بن منبه (44)، التي شذت عن قاعدة الإسناد وحشيت بالقصص والإسرائيليات، ومن مظاهر الاعتماد عليه إيراده لخبر دخول خمسة وعشرين صحابيا، مع عقبة بن نافع إثر حملته العسكرية لفتح إفريقية (45)، مع العم أن إسحاق

الملشوني قدكان صاحب أخبار ومغاز، كما أورد ذلك أبو بكر المالكي(46)

أي أنه متخصص في تاريخها وليس مثقفا موسوعيا يجمع بين العلوم الدينية والتاريخ على غرار معاصريه من العلماء، هذا وذكر أبو العرب أن المغاربة قد أخذوا أيضا عن ابن الشهاب الزهري (ت 124هـ/741م) أحد رواة المغازي الحجازيين (47).

وأما من أتباع المدرسة المصرية في تاريخ المغازي، فيأتي الإمام سحنون بن سعيد المالكي (ت240هـ/854م)، الذي أخذ مغازي عبد الله بن وهب الفقيه المصري (ت 197هـ/812م) إجازة إثر رحلته العلمية إلى مصر (48)، ولم يكتف سحنون بدراستها بل عمد إلى نقلها إلى القيروان، ليتولى تدريسها هنالك للطلبة المغاربة، فقد ذكر الفقيه سعيد بن الحداد عن سحنون أن مغازي بن وهب كانت تقرأ عليه وخاصة منها كتاب الجهاد حتى تسيل دموعه لذلك (49).

ووجد من المغاربة من فضل دراسة المغازي من مصدرها العراقي وخاصة منهم أتباع المذهب الحنفي، مثل ابن الكبر ويحي بن مُحَمَّد بن قادم الذين كانت تقرأ عليهما بالقيروان المغازي وغيرها من أمهات الكتب العراقية (50).

هذا وكان مُحَمَّد بن خيرون المعافري (ت 306هـ/918م) عندما رحل إلى العراق قد أخذ السيرة والمغازي عن المؤرخ علي المديني (ت 234هـ/848م) (51)، ولا شك أنه حيال عودته إلى القيروان قد انتصب مدرسا لما تلقاه من معلومات تاريخية عن أستاذه.

ومن جهته اعتمد مُحَمَّد بن سحنون (ت256هـ/869م) على المؤرخ العراقي أبي إسحاق الفزاري (ت 188هـ/803م) (52)، والفارق الزمني بينهما يبين أن ابن سحنون قد أخذ تاريخ السير والمغازي عن كتبه وليس عليه شخصيا، ولعل منها كتاب السير في الأخبار والأحداث (53).

وكانت محصلة الأخذ عن مدارس السير والمغازي المشرقية الثلاث، نبوغ المغاربة في هذا المجال إلى حد لم يكتفوا فيه بالتلقي عن علماء المشرق بل أخذوا يسهمون في تفسيرها للطلبة وتأليف الكتب الشارحة لها كما فعل عكرمة المغربي وعبد الملك بن قطن المهري.

ولم يعد المغاربة عيالا على كتب المشرق في دراسة السيرة والمغازي بل لهم مؤلفات خاصة في هذا المجال، فهذا مُحَمَّد بن سحنون قد ألف في هذا التخصص كتاب السير اشتمل على

عشرين جزءا (54).

3– منهج المغاربة في كتابة التاريخ العام

أ– تعريف التاريخ العام:

هو نمط جديد من الدراسات التاريخية يتسم بشمولية موضوعاته وطابعها العالمي، فهي تتناول تاريخ الأمم قبل الإسلام وتعرج على أيام العرب وأنسابهم، لتنتقل إلى السيرة والمغازي وتنتهي بسرد الحوادث الإسلامية، وغالبا ما تنتهج أسلوبين في عملية الكتابة

التاريخية أحدهما حولي يعتمد على ترتيب الأحداث على أساس السنين والثاني يسوقها مساق الموضوعات أي بأحداثها البارزة.

وقد ظهر منهج التاريخ العام عند العرب والمسلمين من النصف الثاني مع ق 3ه/9م، وأبرز المؤرخين المشارقة الذين تخصصوا في هذا المجال، البلاذري (ت 279ه/892م) في كتابة فتوح البلدان، واليعقوبي (ت 284ه/897م) في تاريخه، ويعتبر الطبري (ت 310ه/922م) من خلال كتابه تاريخ الأمم والملوك (55) نموذجا بارزا للكتابة التاريخية العربية والإسلامية في طور النضج والعالمي.

ب– دور المغاربة في منهج التاريخ العام

على غرار مؤرخي التاريخ العام المشارقة، درج المؤرخون المغاربة على نفس المنهج العالمي للأحداث التاريخية، إلى أن ما وقفنا عليه من معلومات في هذا الشأن قليل، كما أن المؤلفات التي صيغت قد فقدت بالكامل إلا النزر القليل منها.

وفي هذا المجال ألف رائد المدرسة التاريخية، الفقيه والمؤرخ مُحَّد بن سحنون كتاب "التاريخ"، يقع في ستة أجزاء (56) ومع الأسف فهو في عداد المفقودات، ولكن لحسن الحظ أن بعض المصادر قد أظفرتنا ببعض المقتبسات منه، فهذا أبو بكر المالكي (تبعد سنة 484ه/1091م) قد اعتمد عليه في أكثر من موطن ومن ذلك قوله: ذكر ابن سحنون في تاريخه أن الصحابي سفيان بن وهب (ت 82ه/691م) قد غزا إفريقية سنة

(60ه/679م)، بعد أن شهد فتح مصر (57)، ويبدو أن عنوانه المفتوح لا يجعله مقتصرا على فتوح المغرب، بل يتعداها إلى أحداث إسلامية مشرقية أيضا.

كما وضع المؤرخ الأغلبي كذلك أبو عبد الملك الملشوني كتابا كبيرا في" تاريخ الأنبياء" احتوى على أخبار ضافية عن الديانات السابقة، وقد نقل عنه البكري عن طريق ابنه إسحاق خبرا تاريخيا مفاده أنه لم يدخل إفريقية نبي قط، وأول من دخلها بالإيمان حواري عيسى بن مريم عليه السلام، وذلك ما أورده صاحب الرياض (58).

ولأبي عبد الملك كتاب آخر ينطوي على فكرة تاريخية عالمية، يتعلق ببدء الخليقة ويبدأ من خلق آدم عليه السلام على غرار ما صدر به الطبري كتابه في تاريخ الأمم والملوك، ومن الواضح أن ابنه إسحاق قد درس هذا التخصص عن والده بل وتعمق فيه، حيث ألم بتاريخ الأمم السالفة التي كان الأمراء الأغالبة يستأنسون بالاستماع إلى أخبارها، حيث تروي المصادر أنهم كانوا يرسلون إلى إسحاق في شهر رمضان، فيحدثهم بتلك العجائب حتى يمضي معهم طول النهار، وقد شمله مُحَمَّد بن الأغلب برعاية كاملة وكان يستدعيه كل يوم ليصغي لأخباره حتى ينقضي شهر رمضان (59).

ويظهر أن إسحاق بن عبد الملك الملشوني، قد أصبح مدرسة في التاريخ العالمي القديم، حيث كان المغاربة يروون عنه أخبار البدء حتى إلى عصر أبو العرب أي إلى ق4ه/10م. ويبدو أن إسحاق قد كان أيضا ملما بأحداث الفتح الإسلامي لإفريقية، حيث أسند إليه كل من المالكي وأبو العرب خبر وجود خمسة وعشرين من الصحابة في معسكر عقبة بن نافع (60). وفي مجال تاريخ الأنبياء أيضا ألف أبو عثمان سعيد بن الحداد (ت 302ه/914م) كتابا أ ماه "عصمة النبيين" (61)، ولعل مما يدخل في هذا النطاق ما ذكره الدبا غ من أن فرات بن مُحَمَّد العبدي (ت 292ه/904م)، كان يقرأ عليه الزبور (62) الكتاب السماوي الذي انزل على سيدنا داوود عليه السلام.

هذا وألف سليمان بن أبي عصفور المعروف بالفراء " المعتزلي " (ت 269ه/882م) كتابا في هذا الموضوع ماه أعلام النبوة (63).

ويبدو مما سبق أن المغاربة قد فضلوا عدم حشر موضوعات التاريخ العالمي في كتاب جامع، بل جعلوا لكل منها كتابا مستقلا سواء في البدء أو أخبار الأمم السالفة أو تاريخ الأنبياء، على غرار ما فعله بعض المؤرخين بالمشرق مثل وهب بن منبه وهو أول من صنف في قصص الأنبياء (64).

إلا أن كتبهم في تاريخ الأنبياء والأمم السابقة قد أقحموا فيها الغرائب من الروايات

تماشيا مع نزعتهم المغربية، فقد أورد أبو العرب روايتين نقلا عن عبد الله بن الوليد تلميذ سحنون المالكي (ت 298ه/910م) تفيدان أن النبيين صالح وشعيب عليهما السلام قد أرسلا مبعوثيهما إلى قرطاجنة التونسية (65).

كما نقل ياقوت الحموي من مصادر مغربية دون أن يذكرها خبرا بشأن خرق سفينة سيدنا الخضر في قصته المعروفة مع موسى عليه السلام وأن ذلك كان بإفريقية (66) وهو الخبر الذي فنده المالكي مؤكدا انه لم يدخل أحد من الأنبياء أرض المغرب (67).

وفي هذا التخصص برز المؤرخ أبو العرب رافع لواء التاريخ بإفريقية (68)، فألف في التاريخ العام كتابين من الأهمية بمكان، أحدهما مفقود وهو بعنوان " كتاب التاريخ " ويقع في سبعة عشر جزءا ويبدو أن مادته التاريخية ثرية ود ـة قد ترقى إلى مستوى كتاب " تاريخ الأمم والملوك " للطبري، والثاني تحت اسم " كتاب المحن " (69) أشرف على تحقيقه الدكتور يحي وهيب الحبوري، ويشتمل الكتاب على خمسة فصول، وأهم الموضوعات التي وردت فيه تتعلق بمقتل الصحابة ﷺ وبمن ضرب من العلماء والصالحين وبمن اضطهدهم الحكام سواء في المشرق أو في المغرب وكذلك ما يتصل بعزل القضاة وذكر من ابتلي بمحنة خلق القرآن (70).

4– مساهمة المغاربة في كتابة التاريخ المحلي

أ– مفهوم التاريخ المحلي وظروف نشأته

هو نمط جديد من الدراسات التاريخية يهتم بتدوين أخبار قطر جغرافي معين أو مدينة ما، وقد ظهرت التواريخ المحلية بشكل واسع النطاق ابتداء من منتصف القرن 3ه/9م (71)، والواقع أنها ظهرت قبل ذلك بحوالي نصف قرن، فألف أبو مخنف (ت 157ه/773م) في فتوح العراق واهتم الواقدي بتاريخ أخبار الحجاز وكلاهما اشتركا في فتوح الشام (72) ثم توالت بعد ذلك بشكل منقطع النظير ومست أقاليم إسلامية أخرى فاهتم المدائني (ت 225ه/839م) بأخبار خراسان والهند وبلاد فارس، في حين كان اهتمام ابن عبد الحكم بفتوح مصر والمغرب (ت 257ه/870م)، بينما عكف آخرون على التأريخ للمدن،

فوضع ابن طيفور (ت280ه/893م) كتابا في تاريخ بغداد ومثله فعل لاحقا الخطيب البغدادي (ت 463ه/1070م) عندما كتب في تاريخ بغداد وأعلامها، وعلى غرارهما سار ابن عساكر (ت 571ه/1175م) حينما ألف في تاريخ دمشق وأعلامها وكذا ابن عذاري المراكشي

(ق 7هـ/13م)، الذي صنف كتابه المشهور "البيان المغرب في أخبار المغرب" (73).

وكل هذا الزخم من الكتابة في التواريخ المحلية، كان نتيجة طبيعية بعد تصدع الوحدة السياسية للخلافة العباسية التي استحالت إلى دويلات متعددة، فتوزعت الثقافة الإسلامية على الأمصار، ونافست بغداد قرطبة والقيروان ومصر وأصفهان والري وغيرها، وكثر العلماء في الأقاليم (74)، كل ذلك أثر في كتابة التاريخ عند العرب فأخذت صبغة محلية تبعا للانقسام السياسي الذي ألم بالعالم الإسلامي.

ب- المغاربة ومنهج كتابة التاريخ المحلي

ساهم المغاربة في تدوين أخبار بلادهم، على غرار ما فعله المشارقة متزامنة مع نظيرتها المشرقية، فما أن حلت فترة ق 3هـ/9م، حتى شهدت التواريخ المحلية في بلاد المغرب نموا مطردا.

وإن من أقدم المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ إفريقية ولم تصلنا كتبهم، المؤرخ المغاربي عيسى بن مُحَمَّد بن أبي المهاجر (ت في ق 3هـ/9م) وهو حفيد فاتح إفريقية المشهور، أبو المهاجر دينار، فقد ألف كتابا في " فتوح إفريقية "، يعد من المصادر الهامة والنادرة عن الفتح العربي لإفريقية، فقد أكثر أبو العرب الأخذ عنه في التأريخ عن حوادث الفتح في أكثر من موطن (75).

ويتضح من أبي العرب أن مصادر عيسى بن أبي المهاجر مشرقية، حيث كان اعتماده الأساسي في ذلك على المؤرخ المشرقي مُحَمَّد بن واقد الواقدي، الذي تردد ا ـه أكثر من مرة في طبقات أبي العرب مقرونا باسم ابن أبي المهاجر (76)، مما يعني أن موضوع " فتوح إفريقية " قد استوحاه من الواقدي، الذي كان عالما بالمغازي والسير والفتوح إلى جانب إلمامه بعلوم الحديث والفقه، وقد ذكر له ابن النديم تسعة وعشرين كتابا معظمها في التاريخ (77).

وقد نسب إليه كتاب بعنوان " فتوح إفريقية "، يقع في جزئين (78) إلا أن أغلب الباحثين قد استهانوا بقيمته العلمية، لكونه أقرب إلى القصص والأساطير منه إلى التاريخ (79) وقد ذكر المنجي الكعبي للواقدي كتابا آخر بعنوان " مغازي إفريقية " وهو حسبه في عداد المفقودات (80) والأرجح أنه نفس الكتاب، وقد تكون بدايته تاريخية في ق 3هـ/9م وصوحتى الطبقة الحاكمة من أهل المغرب أخذوا يعتنون بالكتابة التاريخية المحلية، فقد ألف

محمد بن زيادة الله بن الأغلب كتابا في " تاريخ بني الأغلب " (88)، يبدو أنه دون فيه أخبار أسرته إلى غاية وفاته سنة (283هـ/896م).

وفي العهد الفاطمي برز الطبيب والمؤرخ المغربي، أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزار القيرواني (ت 360هـ/970م)، الذي ألف كتابا بعنوان " مغازي إفريقية " نقل عنه أبو عبيد البكري قائلا: " قال أبو جعفر أحمد بن ابراهيم المتطبب القيرواني في مغازي إفريقية "

و لا شك أن البكري نقل عن الرقيق القيرواني الذي استفاد من هذه المغازي أيضا (89)،

و قد اعتمد على الكتاب نفسه مؤلف مراكشي مجهول من ق 6هـ/12م ذاكرا اسم الكتاب بلفظه، وذلك فيما يتعلق بفتح موسى بن نصير لجزيرة الأندلس (90)، مما يعني أن مغازي ابن الجزار لا تقف عند تأريخ حوادث الفتح بإفريقية، بل تتجاوزها لتشمل فتوح الأندلس.

و لابن الجزار كتاب آخر في تاريخ إفريقية ماه " أخبار الدولة " (91)، ويعني الدولة الفاطمية، كما اشتمل الكتاب أيضا على بعض الأخبار المتصلة بالدولة الأغلبية، وعليه اعتمد ابن أبي أصيبعة في رواية قصة قدوم الطبيب المصري إسحاق بن سليمان الإسرائيلي إلى القيروان على عهد الأمير الأغلبي زيادة الله الثالث (290–296هـ/903–909م) (92)، وعنه ينقل المقريزي أيضا في كتابه " اتعاظ الحلفاء " (93).

وفي فترة القرن 4هـ/10م أيضا، يطالعنا المؤرخ والقاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون التميمي (ت 363هـ/974م)، المخضرم الذي عاش لفترة طويلة سنيا ثم التحق بالحركة الإ اعيلية وانضم إلى خدمة الحلفاء الفاطميين في بلاد المغرب، بكتابه التاريخي عن قيام الدولة الفاطمية وسياستها، بعنوان افتتاح الدعوة وابتداء الدولة (94) مستعرضا المسار التاريخي للدعوة الشيعية الإ اعيلية بفضل الدعاة الأوائل الذين جاؤوا من اليمن المنبع الرئيسي للدعوة، إلى أن آلت الفكرة المذهبية إلى دولة وخلافة، وما تخلل ذلك من أحداث تتعلق بدور قبيلة كتامة الحليف الطبيعي للفاطميين أو المعارضين من الأمراء الأغالبة وعامة الشعب

بالمغرب السني، كما يعتبر الكتاب أيضا وثيقة هامة عن الطور المغربي للخلافة الفاطمية، فقد انطوى على صورة صادقة للسياسة الفاطمية إزاء الثورات المغربية سواء من مكناسة أو زناتة أو حتى من كتامة، وعن علاقات خلفائها مع الأمويين في الأندلس والروم وعن موقفهم من الخلافة العباسية، وعن بعض الصراعات والفتن الداخلية.

وعلى الرغم مما وصف به القاضي النعمان من موضوعية، كونه سني وعربي ينتسب إلى البيت الأغلبي التميمي (95) قبل أن يؤول إلى المذهب الشيعي، ومع تأثر المؤرخين المغاربة السنيين بروايته واعتمادهم على أهم كتبه وحتى المشارقة أيضا كابن خلدون والمقريزي والرقيق القيرواني والنويري وابن الأثير، إلا أنه بالمقابل سكت عن أعمال القمع والاضطهاد التي كالها الشيعة الإ ماعليون لأهل المغرب وهي التجاوزات الفظيعة التي كشفت عنها كتب السنة وعلى رأسها أبو العرب في كتابه المحن والخشني في طبقاته إضافة إلى الدباغ في معالمه وعياض في مداركه، ومن هنا فالكتاب ذو قيمة تاريخية معلوماتية ولكن تعوزه الموضوعية والمصداقية، لكون النعمان قد ألفه تحت طائلة الحكم الشيعي الفاطمي بالمغرب وبإيعاز ووحي من الخليفة المعز لدين الله أبر خلفاء الدور المصري. وللإشارة فإن صاحبنا قد ألف كتابه في حدود سنة 346هـ/957م، حسبما أورده فرحات الدشراوي محقق الافتتاح (96).

5- منهج المغاربة في كتابة التراجم والطبقات

أ- تعريف منهج التراجم والطبقات

هو نوع من الدراسات التاريخية يعنى بتسجيل أعمال ونشاطات مختلف الشخصيات، وذلك بتدوين أصلها ونسبها والعلم الذي اشتهرت به ورحلاتها العلمية،

والشيوخ الذين أخذت عنهم، والأحداث التي واكبت حياتها مع تاريخ المولد وبصفة خاصة تاريخ الوفاة، وهذا ما يطلق عليه "علم التراجم"، أي ترجمة الشخصية والتعريف بها، وغالبا ما يكون ذلك مرتبا حسب حروف الهجاء وحسب العصور والطبقات، كأن يقال، علماء الطبقة الأولى فالثانية...الخ، كما تعني "الطبقات" تخصيص كل علم برجاله، في شكل طبقات تبعا لأصنافه من فقهاء ولغويين ونحويين وأطباء وقضاة وأتباع المذاهب الإسلامية العقائدية كالمعتزلة والشيعة(97).

وقد ظهر منهج التراجم والطبقات في مسار تطور الدراسات التاريخية الإسلامية، في

أواخر القرن 2ه/8م، ثم ازدهر في القرن 3ه/9م وما تلاه.

وأشهر من ألف في هذا الباب، الواقدي، الذي وضع كتاب الطبقات، ثم سار على دربه تلميذه وكاتبه أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد (ت 230ه/845م) المدني ثم البغدادي، فألف كتاب "الطبقات الكبرى" (98)، ثم توالت المؤلفات التاريخية على هذا النسق اتباعا في القرون اللاحقة.

ب–مساهمة المغاربة في مجال الطبقات والتراجم

لم يدخر المغاربة وسعا في مضاهاة نظائرهم المشارقة بهذا التخصص التاريخي، حيث ازدهر هذا النوع من الدراسات التاريخية ببلاد المغرب خلال فترة القرن 3ه/9م وما تلاها بالموازاة مع ازدهاره بالمشرق، فألفوا في طبقات الفقهاء والمحدثين والمفسرين والزهاد والقضاة كتبا إما منفصلة أو جامعة وهو الأغلب في منهجهم.

ويعتبر المؤرخ والفقيه مُحَمَّد بن سحنون نموذجا لمؤرخي الطبقات في بلاد المغرب الأغلبية، فقد ألف كتابا في "طبقات العلماء" يقع في سبعة أجزاء (99) وهو في عداد المفقودات، إلا أن بعض مقتبساته توجد في معالم الإيمان (100)، كما أن كتابه "الطبقات العام"، والذي يتألف من أربعة أجزاء (101)، وحتى وإن لم يصلنا أيضا، إلا أن بعض المصادر المحلية – في عصور لاحقة – قد اعتمدت عليه في التأريخ لشخصيات مغربية ومشرقية. فقد اعتمد عليه المالكي في الترجمة للتابعين الذين دخلوا إفريقية ومنهم عبد الرحمان بن أ يفع بن وعلة السبائى، الذي يعرف بابن وعلة المصري، مشيرا إلى اسم المصدر بوضوح وهو: " الطبقات "، فذكر عن مُحَمَّد بن سحنون قائلا: هو من أهل إفريقية وبها مسجده ومواليه إلى اليوم، كما اعتمد عليه ذات المؤلف في التاريخ لفقهاء مدينة القيروان ومنهم مثلا: عبد الله بن الحكم البلوي نزيل إفريقية، والمصري الأصل (102).

هذا واعتمد عليه القاضي عياض في التأريخ لوفيات بعض العلماء مثل: الإمام مالك، منتقدا إياه في تحديد تاريخ وفاته بسنة ثمان وتسعين للهجرة، وكذا في تحديد سنه بسبع وثمانين، مستندا في تقويم خطأ بن سحنون على الواقدي (103)، ويبدو أن صاحبنا تعوزه الدقة في ذكر التواريخ، ولعل ذلك راجع إلى كونه فقيه أكثر من مؤرخ متخصص، بدليل أن معظم مصادره التاريخية في هذا فقهية كابن وهب وابن القاسم المصريين وعبد الله بن نافع المدني (104)، تفتقر إلى الروح التاريخية.

ومن المؤرخين المتأخرين الذين اعتمدوا على طبقات ابن سحنون نذكر ابن فرحون، وكان ذلك في تحديد تاريخ وفاة الفقيه المصري عبد الرحمان بن القاسم (ت 191هـ/ 806م).(105).

وفي هذا الصدد أيضا، برز المؤرخ المخضرم أبو العرب مُحَّد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت333هـ/944م) في علم الطبقات والتراجم، وكان ذلك متجليا في كتبه الكثيرة في هذا المجال: ككتاب "عباد إفريقية" (106)، وهو مفقود، بينما وصلنا كتابه المشهور "طبقات علماء إفريقية وتونس" (107)، والذي صدره أبو العرب بذكر أحاديث وآثار فضائل إفريقية، كما تناول فيه أ ماء من دخلها من الصحابة والتابعين، ومن روى من أهل المغرب عن التابعين وبعض من قدم إلى القيروان وأقام فيها من العلماء أو رجع إلى المشرق، واهتم –بشكل عام– بالفقهاء والمحدثين والمفسرين، لكنه أشار مقابل ذلك عرضا إلى بعض من تعاطى العلوم الأخرى من طب وحساب ولغة وأدب، مما يساعد الباحث عند تناوله للكتاب على تكوين صورة شاملة عن الحياة الثقافية وحتى الاجتماعية التي كانت سائدة في المغرب الإسلامي خلال القرون الثلاث الأولى (1،2،3) للهجرة، ولذلك فإن كتاب طبقات أبي العرب من أهم المصادر التي وصلتنا عن هذه الفترات وخاصة فترة القرن 3، باعتبار أنه كان معاصرا لها، وهو من أقدم كتب الطبقات المغربية التي وصلت إلينا.

والمؤلف يعتني عناية بالغة بالسند، مما يدل على أن علم التراجم لم يستقل في ذلك الوقت عن الطريقة التحديثية، غير أن أسلوب الكتاب يعكس بأن المغاربة اختزلوا السند

قدر الحاجة في تراجمهم مركزين على المشهور منه، على عكس ما امتازت به تراجم المشرق من تطويل ممل في السند، كما فعل الطبري، والخطيب البغدادي في حقبة متأخرة.

وبدا لي من الكتاب أن مصادر أبي العرب مغربية أكثر منها مشرقية، عكس مُحَّد بن سحنون فهو يكثر الرواية عن أبي سعيد الحداد ومُحَّد بن مُحَّد اللباد، وعيسى بن مسكين وأكثر من نقل عنهم هو أبو سهل فرات بن مُحَّد العبدي، ظهر ذلك بجلاء في غزارة المادة التاريخية المسندة عنه، ومقابل ذلك استقى بعض الأخبار من مصادر مشرقية وعلى رأسها الواقدي، وخاصة فيما يتعلق بدخول الصحابة والتابعين إلى إفريقية.

وتتجلى أهمية الكتاب في كثرة من نقل عنه من مؤرخي الطبقات الذين جاءوا بعده وأشهرهم المالكي في رياضه، والقاضي عياض في مداركه والدباغ في معالمه.

وفي فترة لاحقة عن البحث نسبيا ألف – في نفس التخصص– الطبيب القيرواني المشهور أحمد بن الجزار، كتاب "التعريف بصحيح التاريخ"، قال عنه ابن أبي أصيبعة بأنه: "تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه، وقطعة جميلة من أخبارهم"(108)، وذكر ياقوت بأن عدد مجلدات هذا الكتاب تزيد على العشر (109)، وقد نقل عنه في حوادث (سنة 208هـ/823م)، وفي التعريف بمنطقة طنبذة (110).

ويبدو أن مادة الكتاب عبارة عن تراجم مختصرة لعلماء عصره ونتف من أخبارهم مقرونة بتواريخ وفياتهم، ولم يترجم ابن الجزار لعلماء المغرب فحسب، وإنما لعلماء المشرق أيضا. فهو كما ترجم لمشاهير الفقهاء الأغالبة مثل: عبد الله ابن غانم (111)، نجده يترجم أيضا لفقهاء مصريين، حيث استعان به بعض المؤرخين المتأخرين عنه في تحديد تواريخ وفياتهم وشذرات من أخبارهم، ومنهم: القاضي عياض، وأشهر الذين ترجم لهم من فقهاء مصر بواسطة ابن الجزار نذكر، عثمان بن عبد الحكم الجذامي وهو أول من أدخل علم مالك إلى مصر (ت163هـ/779م)، عبد الرحيم بن خالد بن يزيد الاسكندراني (ت 163هـ/779م)، ذين بن شعيب بن كريب المعافري الاسكندراني (ت 180هـ/796م)، وهو من علية أصحاب مالك، كليب بن كامل اللخمي، اسكندراني، وأصله من الأندلس وهو من أوثق أصحاب مالك، أبو السمح عبد الله بن السمح الفقيه (112).

أما عن مصادره التي استقى منها مادته التاريخية فإنها تنوعت بين مغربية ومشرقية ومصرية وأشهر المغاربة الذين اعتمد عليهم نذكر سحنون وابن الحارث الخشني (113)

بينما كان أكثر من نقل عنهم من المصريين هو الحارث بن مسكين (114). وبالرغم من كثرة من اعتمد عليه من المؤرخين والجغرافيين، إلا أن هذا الكتاب لا أثر له اليوم.

ومن الكتب التي ألفها ابن الجزار في مجال الطبقات كتابه " بقات القضاة "، ويبدو أنه مخصص لتراجم العلماء الذين تداولوا على قضاء إفريقية إلى عصره، ينقل عنه القاضي عياض كثيرا في مداركه فيقول: قال ابن الجزار في كتابه "طبقات القضاة" (115). وبالرغم من أن عياضا قد أكثر النقل عنه إلا أنه لم يرد في جملة مؤلفاته عند ابن أبي أصيبعة.

ومن أقرب المصادر إلى فترة البحث أبو عبد الله بن حارث بن أسد الخشني (ت364هـ/974م)، وهو تلميذ أبو العرب، ويعد من المؤرخين الذين وصلنا إنتاجهم التاريخي الخاص بإفريقية، ومن أهم كتبه في مجال الدراسات الإفريقية، "طبقات علماء إفريقية"، وهو

تكملة لطبقات أبي العرب، وقد نشره مُحَمَّد بن أبي شنب عام 1915م، ثم أعاد نشره وحققه عزت العطار عام 1952م بعنوان "قضاة قرطبة وعلماء إفريقية".

ويمتاز الخشني بسعة أفقه وخروجه عن أسلوب المحدثين، كما جاءت مادته وفيرة بخلاف أستاذه أبي العرب، وعكس أصحاب الطبقات المالكية الذين أهملوا تراجم غير المالكيين، فإن ابن الحارث قد ترجم لأعلام الفقه الشافعي والحنفي من المغاربة بما فيهم الأغالبة، ولم يهمل ذكر المعتزلة القائلين بخلق القرآن والمتشيعين من أبناء المذهبين الحنفي والمعتزلي. هذا وأفرد دراسة خاصة لعلماء الكلام السنيين وغيرهم، ولولا الخشني ما علمنا الكثير عن تعاطي أهل السنة للكلام. وفي طبقاته معلومات متفرقة عن الحديث والفقه، فهو من تفرد بذكر دخول ديوان الشافعي إلى إفريقية ألا وهو كتاب الأم وهو من أورد رسالة سعيد بن الحداد في الرد على الإمام الشافعي، والتي بعث بها إلى المزني تلميذه المصري. كما نشر مجالس المناظرة ضد المعتزلة والشيعة لسعيد بن الحداد. وهو الوحيد الذي تجرأ على نقد أبي العرب وإن بالغ بوصفه عديم العلم، رغم أنه شيخه وأستاذه (116).

ويذكر د. رشيد بورويبة في كتاب "الجزائر في التاريخ" أن أقدم مؤرخ رستمي هو ابن سلام بن عمرو وهو حسبه من تيهرت، ألف كتابا لم يذكر عنوانه (117)، ولحسن الحظ وقف عليه الأستاذ بحاز ابراهيم مخطوطا بعنوان " شرائع الدين"، ويقول عن هذا المؤرخ أنه سكن توزر قبل سنة (249هـ/854م) وأنه كتب تأليفه سنة 270هـ/883م (118).

وقد استقى لواب بن سلام بن عمرو بعض مادته والمتعلقة برسوخ الإسلام في جبل نفوسة عن أبي صالح النفوسي وقد لقيه بتوزر (سنة 240هـ/854م) وقد نقل عنه الشماخي في سيره كثيرا. و اشتمل كتاب ابن سلام على مواضيع شتى رغم صغر حجمه، تناول فيه تاريخ بعض الصحابة، ثم تحدث عن خلافة بني أمية وثورة عبد الله بن يحي الكندي –طالب الحق– وبعض المعلومات عن الثورات الإباضية...الخ، كما أورد بعض التراجم لفقهاء المذهب الإباضي. وإن أشهر مؤرخ في تيهرت – بعد ابن سلام بن عمرو – هو ابن الصغير المالكي وهو من سكان تيهرت، كان معاصرا للأئمة الرستميين الأخيرين ابتداء من أبي يقظان بن أفلح (حكم من 261 – 281هـ/874 –894 م) قال عنه: لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه ويعتبر كتابه "أخبار الأئمة الرستميين" أو "أخبار الأئمة" أو "تاريخ بن الصغير"، أقدم وثيقة وصلت إلينا حول تاريخ الأئمة الرستميين الإباضيين، علاوة على كتاب ابن سلام بن

عمرو – الآنف الذكر –.

ويبدو أن ابن الصغير قد ألف كتابه حوالي (سنة 290هـ/902م)، إذ تنتهي أحداث الكتاب إلى الفترة التي حكم فيها أبو حاتم، الممتدة إلى (سنة 294هـ/906م) (119)، وقد اعتمد فيه على أسلوب الرواية الشفوية وكذا المشاهدة، وبالنظر إلى قيمة الكتاب التاريخية فقد كان محل عناية واهتمام المؤرخين الإباضيين ولا سيما اثنان منهم: البرادي في كتابه " الجواهر المنتقاة " والشماخي في سيره، وقد تحدثا عن كتابه كثيرا وذكرا عنه أخبارا متنوعة في مواطن مختلفة من كتابيهما.

الهوامش:

(1) قويدر بشار، منهجية الكتابة التاريخية عند العرب والمسلمين،بحث مرقون،1989 ص 18.

(2) أبو عبيدة، كتاب أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق عادل جاسم البياتي، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1987، ج1، ص61 وما بعدها. انظر ج2، صفحات 95–165–177–579.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دط، دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،دت، ج1،ص15 وما بعدها.

(4) إبن إسحاق بن النديم، الفهرست، تح، مصطفى الشويمي، ط1، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، تونس – الجزائر، 1985، ص 413 –418.

(5) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دط، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، دت، ج1، ص 204.

(6) بشار، المرجع السابق، ص 18.

(7) نفس المرجع، ص 13.

(8) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط 10، دار الكتاب العرب، بيروت، لبنان، 1935، ج 2، ص 346.

(9) ابن النديم، المصدر السابق، ص 418.

(10) نفس المصدر، صفحات 412–413–418–434–441–450–490.

(11) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تح المنجي الكعبي، ط1، تونس 1967، ص 107.

(12) حرب غطفان: نشبت بين القبائل العدنانية لسنوات طويلة، عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1978، ج3 ص 888.

(13) ابن ا لآبار،الحلة السيراء تح أنيس الطباع،ط1،مكتبة النهضة المصرية،مصر،1968،ص242.

(14) طبقات النحويين واللغويين، تح مُحَّد أبو الفضل ابراهيم، ط1، مصر 1954، ص246، انظر أيضا،أحمد بدر، هجرة الثقافة من المشرق إلى المغرب في القرن2هـ، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، سوريا، العدد 8، أفريل 1982، ص92.

(15) الزبيدي، المصدر السابق، ص 149.

(16) ابن الآبار، المصدر السابق، ج1، ص187.

(17) **G. Marçais,la berberie au Ixe siècle D'après EL- Yaqoubi , 1941,p44.**

(18) عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ط2، دار المشرق، بيروت، لبنان 1986، ص 34 وما بعدها.

(19) تراجم اغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تح مُحَمّد الطالبي، ط1، المطبعة الر ية، تونس 1968، ص73–75.

(20) ابو بكر الزبيدي، المصدر السابق، ص246.

(21) أبو بكر عبد الله بن مُحَمّد المالكي، رياض النفوس في طبقات القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم، تح بشيرالبكوش،ط2، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، 1983، ج1، ص311.

(22) أبوالعرب مُحَمّد بن أحمد بن تميم القيرواني،طبقات علماء إفريقية وتونس، تح علي الشابي ونعيم حسن اليافعي، ط2، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، تونس– الجزائر، 1985، ص44 وما بعدها.

(23) إنباه الرواة على أنباه النحاة،تح أبوالفضل إبراهيم،ط1،دار الكتب المصرية،القاهرة1950ج1،ص45.

(24) تاريخ بغداد، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، ج1، ص316، انظر عنه أيضا الزبيدي، طبقلت النحويين، ص257.

(25) نفس المصدر، ص257.

(26) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1993، ج2، ص248.

(27) نفس المصدر، ج3، ص36.

(28) بشار قويدر، المنهجية، ص24.

(29) عبد العزيزي الدوري، نشأة علم التاريخ، ص20.

(30) نفس المرجع، ص20.

(31) أحمد أمين، المرجع السابق، ج2، ص339.

(32) الواقدي،المغازي،تح مارسدن جونسن،ط1،مطبعةجامعة اكسفورد ودارالمعارف،القاهرة،مصر،ج1، ص20–21،انظر أيضا،السخاوي الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ،تح أحمد تيمورباشا،ط 2،دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان،1983،ص99،حاجي خليفة،كشف الظنون، ج2، ص47.

(33) الدوري، المرجع السابق، ص23.

(34) حاجي خليفة، المرجع السابق، ج2، ص47.

(35) الدوري، المرجع السابق، ص23.

(36) الواقدي، المصدر السابق، ج2، ص415–780.

(37) ابن حجر العسقلاني،تهذيب للتهذيب،ط1،دار صادر،بيروت،لبنان،1907،ج7،ص 266.

(38) عن دخول الصحابة إلى بلاد المغرب، انظر، المالكي، الرياض،ج1،ص60–97–98 أبو العرب، طبقات علماء إفريقية وتونس،ص65–73، الدباغ،المعالم،ج1،ص71–187 وعن التابعين، بعثة الفقهاء العشرة من التابعين

إلى بلاد المغرب على عهد عمر بن عبد العزيز،انظر، المالكي، الرياض،ج1،ص99-117-119-150،الدباغ،المعالم،ج1،ص180-223، انظر أيضا، الطاهر المعموري، البعثات العلمية بين القيروان والمشرق خلال ق1هـ/7م،محاضرات ملتقى القيروان، مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية ق5هـ/11م أيام 15-16 أفريل 1994، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان،المؤسسة العربية للتوزيع،تونس، 1995، ص244.

(39) الطيب بوسعد،الحياة الثقافية والعلمية في الإمارة الأغلبية وعلاقاتها بالخلافة العباسية (184-296هـ/800-909م) تحت إشراف الدكتور عبد العزيز فيلالي وبمساعدة الدكتور قويدر بشار،قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2001-2002، صفحات 150-161-162-163-203-204.

(40) ابو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص250.

(41) أبو العرب، المصدر السابق، ص58.

(42) نفس المصدر، ص65-69.

(43) نسبة إلى قرية ملشون وهي من قرى بسكرة، انظر البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب نشر البارون دوسلان، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، 1957، ص52 وقد عاش اسحاق إلى عهد الأمير أبو العباس مُحَمَّد بن الأغلب (226-242هـ / 840-856م).

(44) أبو العرب، طبقات علماء إفريقية وتونس، ص60.

(45) المالكي، الرياض، ج1، ص10.

(46) نفس المصدر، ج1، ص401.

(47) المصدر السابق، ص70.

(48) ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تح مأمون محي الدين الجنان، ط1، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ص264.

(49) المالكي، المصدر السابق، ج1، ص367.

(50) ابن حارث الخشني،طبقات علماء إفريقية،تح مُحَمَّد بن أبي شنب،ط1،باريس،1915،ص185-197.

(51) الدباغ، المعالم، ج1، ص289.

(52) أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي،ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك تح أحمد بكير،ط1،دار مكتبة الحياة ودار الفكر،بيروت،لبنان وطرابلس،ليبيا، 1967 ج1،ص111.

(53) ابن النديم، الفهرست، ص422.

(54) عياض تراجم أغلبية، ص173، ابن فرحون، الديباج، ص334.

(55) الدوري، المرجع السابق، ص51 وما بعدها.

(56) عياض،التراجم،ص173.

(57) المالكي،الرياض،ج1،ص90-91.

(58) نفس المصدر، ج1، ص 401-402.

(59) نفسه،ج1،ص 402.

(60) المالكي، الرياض،ج1، ص 10،أبو العرب،طبقات علماء إفريقية وتونس،ص 56.

(61) الدباغ، معالم الإيمان، ج2، ص 296.
(62) نفس المصدر، ج2، ص 250.
(63) الخشني،طبقات علماء إفريقية،ص 219.
(64) حاجي خليفة،الكشف،ج2،ص1328.
(65) المصدر السابق،ص55-56.
(66) معجم البلدان،ط1،دار صادر،بيروت،لبنان،1968،ج3،ص550.
(67) الرياض،ج1،ص9.
(68) الدباغ،المعالم،ج3،ص35.
(69) الدباغ،نفس المصدر،ج3،ص36،المالكي،الرياض،ج2،ص306،ابن فرحون،الديباج،ص348.
(70) أبو العرب،كتاب المحن،تح يحي وهيب الجبوري،ط4،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1988،ص من57إلى469.
(71) ج.هرنشو،علم التاريخ،ترجمه وعلق على هوامشه وأضاف إليه فصلا في التاريخ عند العرب عبد الحميد العبادي،ط2،دار الحداثة،بيروت،لبنان،1982،ص41،انظر أيضا عبد العزيز الدوري،المرجع السابق،ص56.
(72) ابن النديم،الفهرست،ص425-445.
(73) عبد الحميد العبادي،المرجع السابق،ص41.
(74) نفس المرجع،ص40-41.
(75) طبقات علماء إفريقية وتونس،ص65-206.

(76) نفس المصدر،صفحات 65-68-69.
(77) الفهرست،ص444 وما بعدها.
(78) نشرته مكتبة المنار بتونس لصاحبها التجاني المحمد ي دون تحقيق سنة 1966.
(79) سعد زغلول عبد الحميد،فتح المغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية،مجلة كلية الآداب، الإسكندرية،مجلد 16، 1962، ص07 وما بعدها.
(80) مقدمة تاريخ إفريقية والمغرب الرقيق القيرواني،ص15.
(81) عياض،تراجم أغلبية،ص73.
(82) ابن فرحون،الديباج،ص217.
(83) مقدمة الرقيق،ص15.
(84) نفس المصدر،ص12.
(85) المعالم،ج2،ص58.
(86) المصدر السابق،ص354.
(87) الرياض،ج2،ص65.
(88) ابن الآبار،الحلة السيراء،تح أنيس الطباع،مكتبة النهضةالمصرية،1968، ص42.
(89) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،ص42.

(90) الاستبصار في عجائب الأمصار،تح سعد زغلول عبد الحميد،ط2،دار النشر المغربية ودار الشؤون الثقافية العراقية،بغداد،1985، ص124.

(91) ابن أبي أصيبعة،عيون الأنباء في طبقات الأطباء،تح نزار رضا،مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،1965، ص482.

(92) نفس المصدر،ص480.

(93) حسن حسني عبد الوهاب،ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية،ط1،مكتبة المنار،تونس، 1965:ويشير الأستاذ إلى وجود قطعة من هذا الكتاب محفوظة في مكتبة غوطا وهي التي ترجم منها المستشرق نيكلسون Nicholson بحثه المنشور في سنة 1840 بعنوان:

An accunt of the establishment of the Fatimie dynasty in Africa.

كما يعتقد أيضا أن يكون هذا الكتاب موجودا بنسخته الكاملة في بعض خزائن الإ ماعليين بالهند، ص318–319.

(94) موسى لقبال،دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف ق 5هـ/11م، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979، ص 15 وما بعدها، والكتاب حققه فرحات الدشراوي بعنوان مختزل "كتاب إفتتاح الدعوة"، ط2،الشركة التونسية للتوزيع وديوان المطبوعات الجامعية، تونس–الجزائر، 1986.

(95) موسى لقبال، المرجع السابق، ص16،انظر أيضا،فرحات الدشراوي محقق الإفتتاح،مقدمة التحقيق،ص"د".

(96) المصدر السابق، ص "و".

(97) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2،ص355.

(98) ابن النديم، الفهرست،ص445–446.

(99) عياض، تراجم أغلبية،ص173

(100) اعتمد عليه الدباغ بخصوص العلماء الذين نزلوا بالقيروان، المعالم، ج2،ص70.

(101) ابن فرحون، الديباج، ص334، انظر أيضا، عياض، المدارك، ج3،ص106 وما بعدها.

(102) المالكي، الرياض، ج1، ص167.

(103) المدارك،ج1،ص111،ذكر الواقدي أن تاريخ وفاة الإمام مالك هو سبعة وتسعين وسنه تسعون سنة.

(104) نفس المصدر في نفس المكان.

(105) الديباج، ص154.

(106) الدباغ، المعالم، ج3،ص36،حاجي خليفة، الكشف،ج2،ص1122.

(107) نشره مُحَّد بن شنب سنة 1915 وتم تحقيقه للمرة الثانية على يد علي الشابي ونعيم حسن اليافي، ط2،الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

(108) طبقات الأطباء، ص482.

(109) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج1،ص318.

(110) معجم البلدان، ج2، ص61.

(111) عياض، التراجم، ص**10**.

(112) عياض، المدارك، ج**1**،صفحات **310-311-313-314**.

(113) نفس المصدر، ج**1**، ص**314**.

(114) نفسه، ج**1**، ص**313**.

(115) عياض،المصدر السابق، ج**2**،ص**406-413-317**، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج**1**،ص**319**.

(116) ابن حارث الخشني،طبقات علماء إفريقية،جمع وتحقيق الدكتور مُحَمَّد بن أبي شنب، ط**2**،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون، الجزائر **2006** من ص **129** إلى ص**241**.

(117) رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي) ط**1**، وزارة الثقافة والسياحة و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،**1984**، ج**3**،ص**119**،انظر عنه أيضا،تاديوس ليفيتسكي،المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية،ترجمة ماهر جرار وريما جرار،ط**1**،دار الغرب الإسلامي، **2000** ص**149** وما بعدها.

(118) ابراهيم بحاز بكير،الدولة الرستمية (**160-296**هـ/**777-909**م) دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، ط**2**،نشر جمعية التراث،القرارة، غرداية، الجزائر، **1993**.

(119) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ج**3**،ص**119-120**، انظر عنه أيضا، تاديوس ليفيتسكي، المرجع السابق، ص**148-149**.